

(3)

وبالنسبة إلى السبب الثاني المرتبط بعالم السياسة ومجال الدولة والشأن العام، يرى أن جذور حكم التفاهة بدأت مع عهد مارغريت تاتشر، حين جاء التكنوقراط إلى الحكم، واستبدلوا السياسة بمفهوم «الحوكمة»، والإرادة الشعبية بمفهوم «المقبولية المجتمعية»، والمواطن بمقولة «الشريك». وبذلك صار الشأن العام تقنية «إدارة»، لا منظومة قيم ومثل ومبادئ ومفاهيم عليا، وتحولت الدولة إلى مجرد شركة خاصة، بينما تحول السياسي إلى مجرد ناشط لخدمة مصلحة جماعته.

ومن هذين المنطلقين - تنميط العمل وتسليعه وتشييئه، وتفريغ السياسة والشأن العام من مضمونهما - يعتبر المؤلف أن التفاهة صارت نظاماً كاملاً على مستوى العالم. وأضحت قاعدة النجاح فيها مجرد «لعبة» - ما عليك سوى أن تلعبها - على نحو روتيني حتى من دون اعتبار لأي شأن إنساني، أو اعتبار ثقافي. وعليه يغيب الالتزام بالقيم والمثل العليا في ممارسة المهنة والسلطة، لتتحول الجامعات التي تمولها الشركات إلى مصانع للخبراء المعليين - لا للمثقفين - هدفهم الأساس إرضاء حاجات السوق قبل أي شيء آخر.

ألان دونو. نظام التفاهة. ترجمة وتحقيق مشاعل عبد العزيز الهاجري. بيروت: دار سؤال للنشر والتوزيع، 2019. 368 ص.

يرى المفكر الكندي ألان «دونو» في كتابه نظام التفاهة (Mediocratie) أن التفاهة هي مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالي الاحتكاري تعرض فيها مفهوم العمل في المجتمعات للتغيير بحيث تحولت المهنة إلى وظيفة لتضمن البقاء على وجه الأرض ليس إلّا، في حين أخذت المفاهيم المرتبطة بعالم السياسة ومجال الدولة والشأن العام بالتراجع عن القيم والمثل العليا، وهو ما مهّد للتافهين بأن يمسكوا بمواقع القرار في العالم، سياسياً، واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

وهكذا، يعزو المؤلف هذا التحول الذي سمح بسيطرة نظام التفاهة لسببين رئيسيين: الأول يرتبط بتطور مفهوم العمل في المجتمعات؛ والثاني يتعلق بعالم السياسة ومجال الدولة والشأن العام.

وإذ يتوقف عند السبب الأول لسيطرة التفاهة، يرى أنه بعد تحول «المهنة» إلى «وظيفة»، يتعامل معها صاحبها كوسيلة للبقاء لا غير، بات يعمل العامل - على سبيل المثال - عشر ساعات عمل في مصنع السيارات من دون أن يستطيع إصلاح عطل بسيط في سيارته، وينتج العامل الزراعي غذاء لا يستطيع شراءه، ويبيع العامل المسوق كتباً ومجلات ولا يستطيع قراءة سطر واحد منها، ليصبح العمل بذلك تغريباً وتشييئاً.